قضايا ثقافية

الحقيقة وعصر الدلو

منذ زمن بعيد، ما زلنا بين ازدواجية الحياة وتناقضاتها. ولادة وموت وظلام، جهل ومعرفة، والانسان يسأل: اللامنظور حقيقة ام وهم؟ هل كل شيء لا منظور هو روح؟ هل النفس هي الذات هي الروح؟

كلمات حفرت في اللاوعي اخدودا منذ ان استوى الوعي البشري، وعشعشت الازدواجية في اوصال الانسان لافحة الوعي الظاهري من حين الى آخر، وما زلنا نتأرجح بين رفض وقبول، وتصديق وعدم تصديق. ولا نزال ننتظر... ولكن ماذا ننتظر؟

هل ننتظر الحقيقة تخرج من مهدها الحقيقي وتضع نفسها بين ايدينا؟

هل ننتظر من الوعي الكلي ان يقدم نفسه دون عمل؟

هل ننتظر من المعرفة الشاملة ان تقول انا هنا التقطني؟

لا! والف لا! الانسان هو الذي يجب ان يجد ويسعى للوصول الى الحقيقة الموجودة فيه ساطعة كالشمس، وهو الذي يجب ان يكافح للوصول الى المعرفة التي تحتاج الى باحثين، ولتفتح الوعي الذي يحتاج لتطبيق المعرفة في الحياة واختبارها.

اذن، دعونا ندخل الى عمق الحياة، الى هدف الوجود، الى اهمية الانسان الى دراسة الخفي واللامنظور في الكائن البشري، لان الحقيقة لا تكمن في مكان ظاهر للعيان خوفا من ايدي العابثين، بل تكمن في اعمق اعماق الذات، ان اعترفنا بذلك ام لم نعترف.

دعونا ننطلق الى معرفة نفوسنا التي بتنا نجهل منها ما يقارب التسعين بالمئة وهذه النسبة التقريبية تحقق منها العلم قائلا: ان الانسان يستعمل من خلاياه الدماغية بين خمس وعشر بالمئة، وبين تسعين وخمس وتسعين بالمئة ما زالت غافلة لا واعية.

دعونا نخرج من المعتقدات القديمة البالية، ومن التحجر والانغلاق ومن التردد والانانية.

وهيا بنا نقرع الابواب التي لم تقرع بعد! ونمشي على الارصفة التي لم يمش عليها احد! وندخل الغابات التي لم يجرؤ الا القليل على دخولها!

نعم! طريق الوصول وعرة تتطلب جهدا ومعانات تتطلب تضحية ومسؤولية تتطلب صبرا ومثابرة.

والا لنبق في عداد الموجودين لانهم وجدوا، وليس من الذين وجدوا لتحقيق نفوسهم والتطور بمعرفتها.

لنبق في عداد المنتسبين الى الحياة، وليس السائرين الى هدف وجودها.

لنبق في عداد الذين يعيشون ليأكلوا وليس من الذين يأكلون ليعيشوا.

ان المسير نحو معرفة نفوسنا هو هدف الحياة يتطلب اقداما وجرأة لكن دون تسرع. يتطلب هدوءا داخليا ولكن دون برودة وركود.

وما زال البعض يخشى التقدم. ما زال يخاف من الوعي، ما زال لا يجرؤ على خوض غمار المعرفة، ولكني اقول:

هلموا ننطلق قبل ان يبلعنا اليم في الظلمة الموحشة، وهيا الى التجدد قبل ان تأكل الرتابة ضعفنا، ويقضي الفشل على تقدمنا.

اقدموا ولا تخافوا! لا يمنع الانسان عن التقدم الا الخوف، ولكن لماذا؟

لنكن على علم ان الحقائق ليست في الظاهر والمعلوم بل في الخفي والمجهول، والانسان عدو ما يجهل، ولكن لماذا لا يكون صديق ما يعلم وينطلق مما يعرف الى ما لا يعرف، هذه هي درب معرفة الذات الحقيقية. درب السائرين على درب التفوق وهنا سؤال يطرح نفسه، هل كل شيء خارج الجسد هو الروح؟

لا بكل تأكيد كل خفي هو روح! وليس كل لامنظور هو ذات! وليس كل غير محسوس بالحواس الخمس هو نفس!

هناك فارق شاسع بين النفس والذات والروح، لان الافكار والمشاعر والاحاسيس هي ذبذبات غير مرئية ولكنها ليست الروح ـ الروح وحدة اما الافكار والمشاعر فمزدوجة تصدر عن مكونات خاصة بالمشاعر والافكار، ارقى من مستوى الجسد وادنى من مستوى الروح. وان الانسان كيان عظيم يحوي ما في الكون. وكما قال ابن عربي «اوتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر» الا يعني هذا القول ان مسافات شاسعة بين الجسد والروح لا هي مادة ولا هي روح. وان لم تصدق ابن عربي الا نصدق سقراط عندما قال: «اعرف نفسك تعرف كل شيء».

والى من فاته الاطلاع على ما حققه العلم مع المصور الروسي كيرليان في اواسط الخمسينات، استطاع ابتكار آلة متطورة التقطت الحقل الكهرطيسي حول الجسد، وهذا الحقل غير مرئي بالعين المجردة وهو ليس الروح.

ماذا ننتظر بعد، هل ننتظر من العلم اكتشاف آلة جديدة تكشف المكونات الخفية التي تصدر الافكار والمشاعر حتى نعترف بوجودها لماذا لا نتعرف الى نفوسنا وننطلق منها، لماذا لا ندخل الى مختبرنا الذاتي، اليس الانسان هو المختبر والمختبَر، اليس هو الباحث وموضوع البحث وحقل الابحاث في الوقت نفسه.

الكل يريد ان يصل الى هدف وجوده، الكل يتمنى الوصول الى المعرفة الشاملة، الكل يبغي ان يتعرف الى الحقيقة ولكن ليس الكل يسعى للوصول بل يريدون الحقيقة على طبق من فضة، وحقيقة الوجود اثمن بكثير من الاشياء المثمنة.

ان الطريق صعبة وشاقة، ولكنها ليست مستحيلة.

المجاهل مخيفة ولكن للعراة الذين لا يملكون الفكر النيّر، وهم لا يبحثون خوفا من الخروج عن مسار الايمان الاعمى.

التقدم قاهر للمتشبثين بالماديات، وسلبيات الانيوية ولا يريدون التخلص منها.

اخيرا وليس آخرا اقول: يجب ان ننتبه الى اننا مقبلون على عصر جديد عصر الانفتاح والوعي، وليس عصر التلكؤ والإنغلاق على الذات. عصر الدلو الذي سيفرغ معرفته علينا، فما علينا سوى تأهيل نفوسنا لاستقبال تلك المعلومات.

عصر النجاح والتقدم، وليس عصر الفشل والضعف والتمهل.

قد لا تخلو الارض من المعصومين عن الخطأ، لكن درب التفوق لا تتحمل اخطاء.

ميشال هيدموس